

تاريخ القبول: 2026/04/24

تاريخ الإرسال: 2025/12/29

تاريخ النشر: 2026/05/23

تحولات السرد في الرواية العربية الحديثة قراءة في أنماط التجريب

Transformations of Narrative in the Modern Arabic Novel A Reading of Experimental Patterns

د. عبد المالك بن شافعة¹جامعة خنشلة (الجزائر) ؛ dz.malek@univ-khenchela. benchafaa¹

المخلص:

شهدت الرواية العربية الحديثة منذ منتصف القرن العشرين تحولات جذرية في الشكل والمضمون، إذ تجاوزت وظيفة السرد التقليدية المتمثلة في إعادة إنتاج الواقع كما هو لتصبح فضاءاً للتجريب الفني والفكري، حيث جاءت هذه التحولات استجابةً لمتغيرات سياسية واجتماعية وثقافية، بهدف تفكيك الواقع وإعادة بنائه عبر أساليب ولغات ورؤى مبتكرة عززت من حضور التجريب السردى عبر تمظهرات وأنماط متعددة مثل تفكيك البناء التقليدي للرواية وتعدد الأصوات والتجريب اللغوي والتداخل الأجناسي والفانتازيا وتجريب الرؤية السردية، إضافة إلى الميتاسرد، وهو ما أتاح وبشكل خاص للروائيين فرصة ابتكار أساليب سردية جديدة تكسر القوالب السردية التقليدية وتعمل على إعادة تشكيل الواقع الروائي، كما منح أيضاً للمتلقى دوراً فاعلاً في عملية التأويل وفهم النص من زوايا متعددة، وهو ما يؤكد قدرة الرواية العربية الحديثة على التعبير عن التعقيدات النفسية والاجتماعية والثقافية وإعادة

التفكير في العلاقة بين اللغة والمعنى والواقع، من منطلق أن التجريب موقف فني وفكري متكامل.

الكلمات المفتاحية: تحولات، السرد، الرواية، العربية، قراءة، التجريب.

Abstract

Since the mid-twentieth century, modern Arabic novels have undergone profound transformations in form and content. They have moved beyond the traditional function of simply reproducing reality to become spaces for artistic and intellectual experimentation. These changes, responding to political, social, and cultural shifts, include dismantling traditional structures, employing multiple voices, linguistic experimentation, genre blending, fantasy, and metanarrative. This has allowed novelists to develop innovative narrative techniques, reshape fictional reality, and engage readers actively in interpretation. It demonstrates the ability of modern Arabic novels to express psychological, social, and cultural complexities, and to rethink the relationship between language, meaning, and reality, based on the principle that experimentation is a comprehensive artistic and intellectual stance.

Keywords: Transformations, Narrative, Arabic Novel, Reading, Experimentation

المؤلف المرسل: د. عبد المالك بن شافعة benchafaamalek@gmail.com

1. مقدمة:

لقد تجاوزت الرواية العربية منذ منتصف القرن العشرين دورها التقليدي الذي انحصرت فيه كجنس أدبي يعنى بإعادة إنتاج الواقع وتمثيله وفق آليات محاكاة

مباشرة وشروط سردية تقتصر على نقل الخبرة الواقعية بلغة وصفية ذات تسلسل زمني تقليدي وأفق سردي محدود، ذلك أنه وفي ظل التحولات الفكرية والاجتماعية والسياسية التي اجتاحت العالم العربي شهدت الرواية العربية انعتاقاً من هذه القيود الوظيفية ودخلت فضاءً جديداً تتجلى فيه روح التجريب والانفتاح على تساؤلات الذات والوجود، متجاوزة بذلك حدود السرد العادي لتصبح حقلاً معرفياً وفنياً متكاملًا يعمل على إعادة تشكيل العالم وفق إدراكات وتأويلات تتسم بالاستمرارية والتجدد في نسيج سردي تتلاقى فيه البنى السردية مع المرجعيات الفلسفية والهواجس الوجودية، وتشابكها في الوقت نفسه مع المعضلات الاجتماعية في فضاء لغوي ثري يستند إلى التعددية والتداخل والانزياح عن السردية المألوفة، لتفصح بذلك عن تجارب وجودية متعددة الأبعاد وتأملات في ماهية الذات والعالم.

ومن هنا تبرز إشكالية هذه الدراسة التي تسعى إلى تسليط الضوء على أنماط التجريب السردية في الرواية العربية الحديثة، وإلى فهم كيفية توظيف هذه الأنماط للتعبير عن التحولات الفكرية والاجتماعية والسياسية، دون الاقتصار على نصوص محددة.

أما منهجياً فقد اعتمدت الدراسة على قراءة تحليلية لأنماط التجريب المختلفة مع التركيز على أساليب مثلثية البناء التقليدي للسرد وتعدد الأصوات والتجريب اللغوي والتداخل الجناسي والفتنازي وتغريب الواقع والرؤية السردية والميتا سرد، وهذافي إطار محاولة فهم البنية الجمالية والمعرفية للرواية العربية الحديثة وكيفية انعكاس التجريب فيها على رؤية الذات والعالم كما قلنا.

وهو ما دفعنا إلى استدعاء صورة الرواية العربية الحديثة ومساءلتها عن دورها في خضم كل هذه التحولات بوصفها فاعلاً ثقافياً يسائل الواقع ويفكك بناءه من خلال آليات فنية جديدة ومتعددة، على اعتبار أن الرواية العربية قد تحولت إلى مختبر

دلالي وجمالي تتسجم وفي شكلها الجديد مع تحولات الذات العربية وأسئلتها الوجودية ضمن مشروع سردي يسعى إلى مساءلة المعنى لا تثبيته وإنتاج المعرفة لا استهلاكها.

وعليه يمكن القول إن النص الروائي العربي و في خضم هذه التحولات أصبح مختبراً إبداعياً- كما أشرنا الى ذلك سابقاً- يعنى بتشريح الذات البشرية وإعادة بناء علاقتها بالعالم، وهو ما جعله منصة لحوار فكري وفني في سياق تفاعلي مع جملة من المتغيرات الكبرى التي عرفها العالم العربي سواء على المستوى السياسي والاجتماعي أو على صعيد الفكر والثقافة، إذ أنه ومن صدمة الاستعمار إلى خيبات الاستقلال ومن وعود الحداثة إلى انكسارات الحاضر ولدت الحاجة إلى أدوات سردية جديدة قادرة على التعبير عن هذا الواقع المعقد والمتغير دون أن يعني ذلك بالضرورة الوقوع في التبعية .

وفي صلب هذه الحركية تبرز ظاهرة التجريب السردى بوصفها سمة مركزية للرواية العربية، حيث أصبحت تجلّيا لوعي فني وفكري يدرك أزمة العالم العربي ويسعى إلى إعادة بناء أدوات التعبير بما يتلاءم مع تعقيد اللحظة التاريخية بوصفه خيارا جماليا من جهة ومحاولة لإعادة امتلاك سلطة السرد في عالم يتآكل فيه المعنى من جهة أخرى.

2- مفهوم التجريب:

نشأ مصطلح التجريب في الأصل ضمن السياق العلمي الذي يدل على العملية التي يتم من خلالها اختبار الفرضيات ومراقبة النتائج بهدف إنتاج معرفة جديدة قابلة للفحص والتحقق العلمي، وذلك من منطلق أن التجربة هي الوسيلة الأكثر عقلانية لفهم العالم وتفسير الظواهر

حيث ينظر إلى التجريب في العلم بوصفه اختباراً منظماً يجرى على ظواهر طبيعية بهدف ملاحظتها بدقة ووفق منهجية علمية قصد الكشف عما يمكن أن ينتج عنها من معارف أو لتحقيق غايات علمية محددة وذلك عن طريق إخضاعها لضوابط منهجية دقيقة تجعل من التجريب أداة مركزية في الوصول إلى نتائج قابلة للفهم والتحليل داخل الإطار العلمي، بوصفها اختباراً منظماً "لظاهرة أو ظواهر يراد ملاحظتها ملاحظة علمية دقيقة ومنهجية لتكشف عن نتيجة أو تحقيق غرض معين"¹ ضمن شروط تجريبية دقيقة تسمح بإعادة التجربة والحصول على نتائج قابلة للتعميم، بالإضافة إلى أن ما يميز التجريب من جانب آخر في المجال العلمي هو طابعه المنهجي وارتباطه الوثيق بالعقل والملاحظة في الوقت نفسه وهو ما يمنحه مكانة مركزية في بناء المعرفة العلمية الموضوعية، وفي ظل هيمنة النظريات التقليدية حول أصل الأنواع، لم يكن التجريب يحتل مكانة محورية في تفسير الظواهر البيولوجية، إلى أن جاء تشارلز داروين بمقاربة جديدة تعتمد على الملاحظة الميدانية وهو ما مهد لاستخدام مصطلح التجريب بمعناه الحديث كأداة للتحرر من القيود النظرية القديمة بنظرية التحول عند تشارلز داروين **Experimental** إذ ارتبط "مصطلح التجريب

(الذي استخدم بمعنى التحرر من النظرية القديمة² **Darwin Robert Charles**)

والذي اكسب مصطلح التجريب دلالة جديدة تمثلت في التحرر من النماذج النظرية السابقة واعتماد المنهج العلمي القائم على الملاحظة والتجربة كأساس لفهم تطور الكائنات الحية

وقد انتقل هذا المفهوم لاحقاً إلى حقل الدراسات الأدبية مع تغييرات جوهرية في المعنى والدلالة، حيث تمت الدعوة إلى ضرورة أن يتعامل المؤلف مع النصوص

الأدبية وبالأخص الروائية منها مع الشخصيات والأحداث كما يتعامل العالم مع المعطيات في مختبره، واضعا نصب عينيه هدف اختبار الفرضيات الاجتماعية والنفسية من خلال أدوات فنية تسمح بتموضع التجريب كظاهرة يمكنها التأثير في مجرى الدراسات المتعلقة بالرواية ، حيث وقيل أن يطرح إيميل زولا مشروعه الأدبي، كان مفهوم التجريب في الأدب غير محدد بشكل واضح، وكانت الروايات تلتزم بالأساليب التقليدية التي تركز على السرد والمضمون دون محاولة تقنين منهجية علمية أو منهج التجربة كما في العلوم الطبيعية، إذ وبحسب "إميل زولا يجب أن تكون لغة الرواية ثمرة تجربة مبنية على تجميع الملاحظات والحقائق والمعطيات قبل صياغتها في نسق روائي يضفي عليها صدقية تضاهي صدقية الحقائق المتصلة بالتجارب العلمية"³ لكن هذا التصور الذي اتسم بشيء من الحتمية الواقعية لم يلبث أن تجاوزته تطورات لاحقة في الفكر والنقد، حيث أصبحت الرواية خاصة في سياقات ما بعد الحداثة ترفض الخضوع للأنساق المغلقة وتعتمد على الانفتاح والتعدد والشك، وهنا بدأ التجريب يفهم بوصفه رغبة ملحة في خلخلة اليقين وتفكيك القوالب السردية الجاهزة وإعادة النظر في وظائف النص الأدبي الغربي على وجه الخصوص، لأن واقع الرواية العربية قد حمل التجريب دلالات أكثر تعقيدا وذلك بسبب ارتباطه المباشر بالواقع الثقافي والسياسي والاجتماعي المتوتر، فانبثقت أشكال لا حصر لها من الترابط وأوجه الاتصال مع الحياة العامة بجميع فروعها واختصاصاتها، وعالم لا متناه من الوشائج الاجتماعية بين نوات تؤثر وتتأثر⁴ الى أن برز التجريب كأداة فكرية وفنية لمساءلة الموروث ومجابهة الخطابات السائدة وتحطيم النماذج الجاهزة في الكتابة والتلقي؛ إذ وقبلأن يصبح التجريب ركيزة أساسية في العمل الإبداعي، كان التعبير الفني يعتمد إلى حد كبير على القوالب الجاهزة والأساليب التقليدية- كما اشرنا الى ذلك سابقا- والتي تعيد إنتاج المؤلف، حيث لم

يكن الخروج عن المؤلف يعني بالضرورة علامة على الإبداع لأنه قوبل في كثير من الأحيان بالرفض، لكن في المقابل يمكن الاقرار بأن "التجريب قرين الإبداع، لأنه يتمثل في ابتكار طرائق وأساليب جديدة في أنماط التعبير الفني المختلفة، فهو جوهر الإبداع وحقيقته عندما يتجاوز المؤلف ويغامر في قلب المستقبل، مما يتطلب الشجاعة والمغامرة، واستهداف المجهول دون التحقق من النجاح"⁴ وهو ما ارتبط بتغير مفهوم العمل الفني ليقوم على ابتكار أشكال وأساليب جديدة في التعبير متجاوزا الثابت والمعتاد في مغامرة نحو المجهول وفي تحد صارم لكل التوقعات.

وعلى هذاالتجريب في الرواية العربية لا يختزل في تقنيات أو أساليب منفصلة وإنما هو موقف إبداعي ونقدي في الوقت نفسه، حيث يعمل على إعادة مسالة العلاقة بين الشكل والمضمون وبين الذات والعالم وبين النص والمتلقي، وعلى هذا أيضا فهو يشكل رغبة واعية نحو مغامرة أدبية تضع المتلقي أمام نصوص متحولة يصعب إخضاعها لقوالب التفسير التقليدية، إذ لطالما كان التجديد هو محرك الإبداع الأول في مختلف الفنون، غير أنه في الأدب وتحديدًا في فن الرواية، يأخذ هذا الهاجس أبعادًا أكثر تعقيدًا، فمحاولات التجديد بكل مظهراتها هي رغبة في الاختلاف وضرورة حتمية تهدف إلى كسر رتابة الأشكال النمطية والتحرر من الأساليب المألوفة التي قد تكبل خيال المبدع في ميل واضح إلى الجديد الذي يمثل "أفق كتابة يصدر عن هاجس التجديد الذي لا يتحقق إلا عبر التحرر من إसार السائد، مما يجعله يمثل شكلا من أشكال تكريس حرية المبدع الروائي من خلال ثورته على الأشكال النمطية في الكتابة الروائية"⁵ محاولا إثباتقوته في تجاوز القيود المفروضة عليه وبهذا تصبح عملية التجديد وسيلة لتحرير النص وخطوة نحو إثراء التجربة الأدبية ككل وهو ما يعني في الوقت نفسه فتح آفاق واسعة أمام الروائيين لإعادة تعريف فن الرواية وإضفاء حيوية جديدة عليه وهو ما يضمن استمراريته

وتطوره بما يواكب تغيرات العصر وتغير انماط التجريب في حد ذاته وما يتخلل كل ذلك أيضا من اختلاف واضح في قراءة هذه الانماط ومساءلتها مساءلة واعية.

3- أنماط التجريب السردية:

شكلت أنماط التجريب السردية في الرواية العربية الحديثة علامة متميزة في تطور النص الروائي، إذ ساهمت في زعزعة القوالب الجاهزة التي ظلت تحكم البنية التقليدية للرواية العربية ولعقود طويلة وهو ما أسهم في تقوقع النص الروائي العربي وانغلاقه على نفسه، وقد تجلت هذه الأنماط في عدة مستويات: فنية، لغوية، رؤيوية وزمنية، وهوما أتاح للروائيين العرب آفاقا جديدة للتعبير عن الذات والواقع والعالم، بأساليب أكثر تعقيدا وتركيبا، ولعل أبرز هذه الأنماط هي:

3-1- تفكيك البناء التقليدي للسرد:

انعكس هذا النمط على الأساليب والمواضيع والرؤى الفنية السردية، حيث كانت للأحداث السياسية الكبرى وبالأخص هزيمة 1967 دورا كبيرا في زعزعة الثوابت الفكرية والثقافية العربية، وهو ما دفع الروائيين العرب إلى البحث عن أشكال جديدة للتعبير أسهمت بطريقة أو بأخرى في ظهور الأدب التجريبي الذي عمل على كسر القوالب التقليدية للسرد وتفكيكها، متجها نحو استكشاف عوالم النفس والخيال والرمز، مع اهتمام أكبر بالزمن واللغة وذلك من خلال كسر التتابع الزمني للأحداث وإعادة تشكيل الحبكة وفق منطق نفسي أو ذهني، لأن الرواية التجريبية في أصلها غالبا ما تبدأ من المنتصف أو من نهاية الأحداث، وتعتمد على الاسترجاع أو الاستباق، فتتحول البنية الزمنية فيها إلى حقل مفتوح تتداخل فيه الأزمنة دون ترتيب تقليدي يخلق توترا سرديا ويحمل المتلقي مسؤولية إعادة تركيب الأحداث، وهو ما يعكس وعيا سرديا جديدا محملا بتحويلات نوعية أحدثت كما قلنا "طفرة قوية منذ الستينيات، خاصة بعد هزيمة 1967 التي زلزلت البنية الفكرية والثقافية التقليدية، فبدأ كثير

من الكتاب العرب ينزعون إلى أشكال سردية وشعرية تجريبية، تسائل اللغة وتخلخل الزمن، وتفكك الشخصية، وتشغل على الحلم واللاوعي والرمز⁶ وعلى هذا يمكن القول أن التجريب في الأدب العربي كان حركة فنية وانعكاسا للمتغيرات الاجتماعية والسياسية والثقافية في الوقت نفسه في صورة تميل به الى تبني خصوصية الواقع العربي تؤكد تميزه عن الواقع الغربي ، فقد اعتمد الكتاب من خلال هذا النمط على استكشاف أعماق الشخصية وخلخله الزمن ومساءلة اللغة، كما وظفوا الرمزية والحلم واللاوعي للتعبير عن القلق الوجودي والطموح للتجديد، وهو ما سمح لهذا الأدب أن يكون مساحة للتجريب والتفكير النقدي القادر على تحدي المألوف وإعادة تشكيل المشهد الأدبي العربي في حضرة الظروف والشروط المحيطة به.

3-2- تعدد الأصوات (البوليفونية):

في الرواية التجريبية، لم يعد صوت الراوي الواحد هو المتحكم في مجريات السرد وإنما تم فسح المجال لتعدد الأصوات ووجهات النظر، بحيث تتجاور الأصوات المختلفة والمتعارضة داخل النص بعضها بعضا، دون أن يفرض صوت مرجعي أعلى، في انعكاس روائي تتضح معه ملامح رؤية نقدية متوازنة للعالم، ومثقلة بمرجعيات فلسفية مختلفة عملت على اقحام المتلقي كشريك أساسي في تأويل المعنى داخل النص الأدبي وبالأخص الرواية، حيث عرفت الرواية العربية في مراحلها الحديثة تحولات واضحة في بنيتها وسردها للأحداث، أين اتجه الروائيون إلى توظيف أصوات متعددة وحوارات معقدة تعكس تعدد وجهات النظر التي سمحت بإبراز عمق الشخصيات وتفاعلها مع المحيط الاجتماعي والثقافي، كما ساهم هذا التوظيف أيضا في نقل تجارب حياتية متباينة ضمن النص الروائي، وهو ما أكسبه بعدا نفسيا وفكريا أوسع فالرواية "متعددة الأصوات ذات طابع حوارى على نطاق واسع وبين جميع

عناصر البنية الروائية، توجد دائما علاقات حوارية، أي أن هذه العناصر تضع بعضها في مواجهة بعض آخر، مثلما يحدث عند مزج مختلف الألحان في عمل موسيقي، حقا إن العلاقات الحوارية هي ظاهرة أكثر انتشارا في كثير من العلاقات بين الردود، خاصة بالحوار الذي يجرى التعبير عنه خلال التكوين، إنها ظاهرة شاملة تقريبا، تتخلل كل الحديث البشري وكل علاقات وظواهر الحياة الإنسانية، وتتخلل تقريبا كل ما له فكرة ومعنى⁷ حيث يتضح مع هذا أن استخدام الحوار المتعدد الأصوات في الرواية لا يقتصر على نقل الأحداث فحسب وإنما أصبح وسيلة لتقديم التحليل النفسي للشخصيات واستكشاف العلاقات الإنسانية المتشابكة، وتقديم رموز ودلالات ذات معنى تبرز عمق التجربة الإنسانية في تداخلاتها وتقاطعاتها، ومن هذا المنطلق البوليفوني أصبحت الرواية منصة لإظهار التفاعلات الفكرية والاجتماعية والثقافية، وأرضية لتقديم رؤية شاملة تقريبا لكل ما يحمل فكرة ومعنى في الحياة الإنسانية.

3-3- التجريب اللغوي:

شهدت الرواية الحديثة انقلابا على اللغة الروائية الكلاسيكية، فتم توظيف اللغة باعتبارها مكونا جماليا وأداة لنقل المعنوقد تنوعت أشكال التجريب اللغوي بين إدخال اللهجات، والمزج بين الفصحى والعامية، وتوظيف الإيقاع الشعري، واللعب بالتركيب النحوي، ففي بعض النماذج تتحول اللغة إلى شخصية روائية قائمة بذاتها تسهم في تشكيل المعنى كما تفعل الأحداث والشخصيات، والأکید في كل هذا أن الرواية العربية عرفت تحولات بارزة في علاقتها باللغة وذلك منذ النصف الثاني من القرن العشرين، وذلك من خلال كسر القوالب التقليدية واستخدام أساليب مبتكرة تسمح للغة داخل النص الروائي بأن تكون أكثر حركية وحيوية حتى أصبح السرد الروائي يستوعب تعدد الأصوات ووجهات النظر التي ترتبط باللغة وحركتها داخل النص،

وهو ما أتاح للروائيين العرب استكشاف طبقات مختلفة من المعنى وإبراز أبعاد جديدة للشخصيات والأحداث، هذا النمط التجريبي الذي اعتمد على اللغة أسهم في تحويل النص الروائي إلى فضاء تفاعلي يربط بين الفكر والعاطفة، ويعكس في الوقت نفسه تعقيد الحياة الإنسانية وتجاربها المختلفة من منظور معظم الروائيين العرب " الذين انجرفوا نحوها كالسيل يخرقون حجب القداسة التي أحاطت بها نفسها قرون عدة، فراحوا يفجرون الكامن من طاقاتها، ويعيدون تخليقها من جديد ضمن شبكة من العلاقات الجديدة التي تضيء عليها حيوية وثراء، ضمن بنية تهجينية لمفوضاتها" ⁸ غير مكتفين بجانبها الجمالي وإنما أصبحت اللغة في توظيفها الجديد أداة أساسية لإعادة صياغة الواقع الروائي وفهم الشخصيات بطريقة أعمق من خلال توظيفها بشكل يمكن الروائي من خلق علاقات جديدة داخل النص، وإضفاء طاقة وحيوية عليه، بحيث تصبح اللغة نفسها وفي هذا الإطار عنصرا فاعلا في تكوين المعنى وتوسيع آفاق التجربة الأدبية، بما يتيح للمتلقي فرصة التفاعل مع النص الروائي على مستويات لغوية متعددة.

3-4- التداخل الأجناسي:

خرجت الرواية العربية الحديثة عن تقاليد الفصل الصارم بين الأجناس الأدبية، فدمجت بين السرد والشعر وبين الرواية والمسرح وحتى بين النص الروائي والخطاب الوثائقي أو الفلسفي أو السياسي، هذه العملية منحت الرواية العربية بعدا تركيبيا معقدا، وحررتها من النموذج الأحادي، حيث شهدت الأعمال الروائية العربية الحديثة تغييرات جوهرية في طريقة بنائها وطبيعة سردها، إذ بدأ الروائيون بالبحث عن وسائل جديدة لتوسيع آفاق النص متجاوزين الحدود التقليدية للأشكال والأجناس الأدبية. مقدمين بذلك تصورات متعددة عن الشخصيات والأحداث، وهو ما يتيح فهما أكبر للقضايا الإنسانية المختلفة، ويجعل النص أكثر قدرة على استيعاب تعدد

التجارب والظروف، إذ "ينفتح جنس الرواية على الأجناس المجاورة نابذاً بذلك وهم الاستقلال النوعي، ولكنه في انفتاحه ذاك يؤسس المرجعيات الخاصة والجديدة للرواية عبر الانتقال بها من سؤال الجنس إلى سؤال النص، ومن سؤال الهوية إلى سؤال الاختلاف، ومن مأزق الكينونة إلى أفق الصيرورة"⁹ في صور مسائلة لم تقتصر على التجديد الشكلي فحسب وإنما أصبحت أداة لفهم التغيير والتطور في الحياة الإنسانية، وللتعبير عن الفروق الجوهرية بين الشخصيات والأفكار وبهذا أصبح النص الروائي العربي مساحة للإبداع والتفاعل المعقد بين الأحداث والهوية والاختلاف منحت العمل الروائي الأدبي القدرة على استكشاف أبعاد جديدة وإتاحة تجربة قراءة أكثر ثراء وتنوعاً.

3-5: الفانتازيا وتغريب الواقع:

لجأ كثير من الروائيين إلى توظيف الفانتازيا والتغريب بوصفهما وسائل فنية لتفكيك الواقع وكشف مفارقاته، إذ يعد السرد الفانتازي أو العجائبي أحد أبرز أشكال التجريب في الرواية الحديثة، وهذا لما يتيح للروائيين من قدرة على كسر القيود التقليدية المرتبطة بالواقع والسرد المباشر، وذلك من خلال خلق عوالم موازية غير خاضعة للمنطق المألوف، كما يمنح هذا النوع من السرد مساحة لاستكشاف احتمالات جديدة للشخصيات والأحداث، ولمواجهة المخاوف الإنسانية بطرق رمزية وغير مباشرة، فالكائنات الخارقة والمواقف الغريبة تؤدي وظيفة التشويق وتحول الهواجس الجماعية إلى رموز قابلة للتأمل، وتثير أسئلة حول الوجود والروح والهوية، "أنها تنقصى الوضع الإنساني فيه، وتقدم حالات يزول فيها الاتفاق المعقول حول العالم الخارجي، ويتوقف من خلالها التوقع الاعتيادي، لعدم وجود طريقة للتفريق بين المدارك الحسية المتفق عليها وبين تلك التي تؤكد رؤى جنونية، وبهذا التوصيف فإنها - الفانتازيا - حينما تستخدم في الأدب فإنه لا يعتبر هروباً من الواقع بل

أستغوار له، إذ أن العالم الذي تطرحه الفانتازيا يبدو عالما دون ريب، لكن في الوقت نفسه يتوقف العمل في المعاني الاعتيادية المألوفة، فكل شيء يفيض بمعاني مضمرة¹⁰ تملك القدرة على تجاوز القوالب التقليدية وذلك من خلال دمجها بين الخيال والواقع، وبين المرئي والمجهول، وبين البعد الرمزي والدلالة، إذ يغدو التجريب الروائي عبر هذا الأسلوب أداة لإعادة التفكير في ثوابت الإنسان، سواء على المستوى النفسي أو الثقافي، كما يتيح للمتلقي التفاعل مع النص بوصفه تسلسلا للأحداث وفضاء دلاليا يطرح الأسئلة الكبرى بالإضافة الى فتح مجال للتأمل في المخاوف والطموحات الإنسانية، وبهذا المعنى يشكل السرد الفانتازي مثالا حيا على قدرة الرواية الحديثة على الابداع وتوسيع آفاق التجربة السردية التي تهدف إلى مساءلة الواقع لا محاكاته.

3-6-تجريب الرؤية السردية:

تمثل في التنوع بين ضمائر السرد (أنا - هو - أنت)، وتقديم زوايا نظر غير مألوفة، كأن تروى الرواية من وجهة نظر شخصية ثانوية أو حتى جماد أو حيوان، وهوما يفتح المجال لرؤية جديدة للعالم الروائي، إذ تعد الرؤية السردية من أهم عناصر البناء الروائي التي استأثرت باهتمام الدراسات الأدبية الحديثة، نظرا لدورها المحوري في الكشف عن طبيعة الخطاب السردى وآلياته الفنية، حيث تسهم الرؤية السردية في تنظيم عملية السرد وتوجيهها وتحدد زاوية النظر التي يقدم من خلالها العالم الروائي بما يشمله من أحداث وشخصيات وفضاءات مشكلا بذلك التمايز والاختلاف بين الأعمال الروائية، حيث تختلف دلالات النص تبعا لاختلاف المنظور الذي يعتمد عليه السارد في عرض الوقائع وتأويلها.

وقد تعددت المصطلحات التي تناولت هذا المفهوم في الدراسات الأدبية نتيجة لاختلاف المرجعيات النظرية وتنوع المقاربات وإختلافها، فاستخدمت تسميات مثل:

وجهة النظر والرؤية السردية والمنظور السردى والبؤرة والحصص، والموقع السردى والمنظور، وعلى الرغم من هذا التعدد الاصطلاحي فإنها تلتقي جميعها في الإشارة إلى الكيفية التي تسرد بها الرواية وإلى العلاقة التي تربط بين السارد وما يرويّه، وبين مستوى المعرفة السردية وحدودها داخل النص¹¹ وهو ما يكشف عن وعي بطبيعة هذا المفهوم ودوره في تنظيم الخطاب السردى وصناعة التمايز بين الأعمال الروائية.

3-7- الميتاسرد (Meta-Fiction)

يظهر هذا النمط حينما يعتمد الكاتب إلى الكشف عن عملية الكتابة داخل الرواية نفسها، فيضع القارئ أمام نص واع بذاته، يحاور بناءه السردى ويكسر حدود التخيل، وقد تتدخل الشخصيات في مجرى السرد أو يعترف الراوى بأنه يخلق ما يرويّه، قصد خلخلة وهم الحقيقة الذي ساد الرواية التقليدية، حيث شهدت الرواية الحديثة تحولاً لافتاً في وعيها بذاتها وآليات اشتغالها، فلم تعد تكتفى بسرد الحكاية وإنما بكشف طرائق بنائها والتأمل في شروط إنتاجها، بحيث تعمل على جعل الكتابة موضوعاً للكتابة نفسها من خلال تداخل السرد مع التفكير في فعل السرد، كما تنكشف الحدود الفاصلة بين الحكاية وآليات تشكيلها، إذ يعد هذا التوجه أحد أبرز مظاهر التجريب في السرد الروائى الحديث وذلك لما يتيح من فرص إعادة النظر في علاقة النص بالقارئ وبالواقع من خلال إعادة "إنتاج نص روائى آخر داخل النص الأصلي بمعنى آخر أن يكون النص أو موضوع الرواية هو الرواية في حد ذاتها"¹² وبهذا الشكل تغدو الكتابة السردية أداة نقدية داخل النص ذاته، إذ تتيح مساهلة بنيته وتفكيك مسلماته، وتمنح المتلقى دوراً في استيعاب مستويات الخطاب

المختلفة، كما تسهم في توسيع أفق القراءة ونقل الاهتمام من الحدث وحده إلى طرائق تمثيله.

وعلى هذا يمكن القول إن هذه الأنماط التجريبية جاءت استجابة لحاجة جمالية وفكرية ملحة، فرضتها التحولات التي عرفتتها المجتمعات العربية وفي تغير النظرة إلى الفن والذات والعالم أيضاً، فالرواية العربية الحديثة لم تكتف بإعادة إنتاج الواقع وإنما سعت إلى تفكيكه وإعادة بنائه عبر لغة وأساليب مختلفة ورؤى مغايرة تؤكد التطورات التي شهدتها الرواية العربية الحديثة والتي لم تقتصر على تعديلات شكلية في البناء والحبكة وإنما تعدتها إعادة النظر في الطريقة التي تقدم بها الحكاية وتكشف من خلالها التجربة الإنسانية التي اعتمدت على أبعاد جديدة للزم والشخصية مع مزج عناصر متعددة مثل الفانتازيا والتغريب إلى جانب دمج الأجناس الأدبية المختلفة، وهما أسهم في خلق نصوص روائية أكثر قدرة على التعبير عن التعقيدات النفسية والاجتماعية والثقافية.

ومن جهة أخرى أضاف اعتماد تعدد الأصوات والرؤية السردية المتنوعة بعدا تحليليا يمكن المتلقي من فهم النص الروائي من منظور متعدد المستويات، حيث يتحول السرد فيه إلى فضاء حركي تتفاعل فيه الأحداث مع وعي المتلقي، كما مكنت أساليب الميتاسرد والكتابة عن الكتابة داخل النص الروائي من مساءلة الحدود التقليدية للخيال وتفكيك الوهم الراسخ للحقيقة الروائية، ما جعل النص أكثر شفافية تجاه نفسه وقادرا على طرح أسئلة فلسفية وفنية حول طبيعة السرد وعلاقته بالواقع.

وبذلك لم تعد الرواية العربية الحديثة وسيلة لسرد الأحداث بقدر ما أصبحت مشروعا فنيا متكاملًا تأحتل الروائي والمتلقي معا إعادة تشكيل المشهد الأدبي واستكشاف العلاقات بين اللغة والمعنى والشخصية، وفهم التحولات الثقافية والاجتماعية التي

يشهدها المجتمع العربي، كل هذا من منطلق إن هذا الانفتاح على التجريب والتحليل الداخلي للنص يجعل من الرواية العربية الحديثة مساحة خصبة للإبداع.

4. خاتمة:

أظهرت القراءة في أنماط التجريب أن اعتماد تعدد الأصوات والرؤية السردية المتنوعة أضاف بعدات تحليليا يسمح للمتلقي بفهم النص أكثر، وكذا القدرة على تحويل السرد إلى فضاء تفاعلي تتفاعل فيه الأحداث مع وعيه، كما أسهمت أساليب الميتاسرد والكتابة عن الكتابة في مساءلة الحدود التقليدية للخيال ومد جسر بين المتلقي والحقيقة الروائية، وهو ما جعل النص أكثر الماما بتفاصيله ومكوناته في رحلته بحثه عن حقيقة نفسه وذلك من خلال طرح أسئلة فلسفية وفنية.

ومن هنا يمكن استخلاص مجموعة من النتائج الأساسية:

1- الرواية العربية الحديثة تجاوزت الوظيفة السردية التقليدية لتصبح مشروعا فنيا متكامل يعالج التجربة الإنسانية من منظور جديد.

2- التجريب السردى أتاح إعادة تشكيل البنية السردية والزمانية والشخصية بما يتماشى مع التحولات الثقافية والاجتماعية في المجتمع العربي.

3 - تعدد الأصوات والميتاسرد منح النص بعدا تحليليا سلسا وساعد على توسيع أفق فهم المتلقي للنص وعلاقته بالواقع.

4- دمج الأجناس الأدبية والفاانتازيا والتغريب أتاح التعبير عن التعقيدات النفسية والاجتماعية والثقافية بأسلوب فني وابداعي جديد.

وعلى هذا فالرواية العربية الحديثة أصبحت فضاء للإبداع حيث تجمع بين التجريب الفني والتحليل الداخلي للنص وتكس في الوقت نفسه قدرة الأدب العربي على التكيف مع مختلف التحولات.

5. المراجع:

- 1-إبراهيم مصطفى، أحمد حسن الزيات وآخرون: المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، اسطنبول، تركيا، دط، دس، ص114
- 2-عبد المنعم تليمة: مقدمة في نظرية الأدب، دار العودة، بيروت، ط3، 1983، ص12
- 3- محمد بريدة: الرواية العربية ورهان التجديد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، دط، 2012، ص25.
- 4- شينة نصيرة: تشكل السرد الروائي في العالم الافتراضي: قراءة في تجربة ليليات رمادة لواسيني الأعرج، مجلة آفاق علمية، مج16، ع02، أكتوبر 2024، تمنغست، الجزائر، ص291. الرابط: <https://asjp.cerist.dz/en/article/254797>
- 5-بن جمعة بوشوشة: التجريب وارتحالات السرد الروائي المغاربي، المغاربة للنشر، تونس، ط1، 2003، ص10
- 6-صلاح فضل: لذة التجريب الروائي، مكتبة الساعي للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ط1، 2005، ص03
- 7-عبد الله إبراهيم: السردية العربية، مدخل نقدي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط3، 2009، ص214
- 8-ميخائيل باختين: شعرية دوستوفسكي، تر: جميل نصيف التكريتي، دار توفال، الدار البيضاء المغرب، ط1، 1986، ص59
- 9-سامية حامدي: التجريب السردى - مقاربات في الرواية المغاربية، أطروحة دكتوراه، كلية اللغة والأدب العربي والفنون، جامعة الحاج لخضر - باتنة، 2017/2018، ص276
- 10-محمد أنصور: استراتيجيات التجريب في الرواية المغربية المعاصرة، شركة التوزيع والنشر المدارس، الدار البيضاء، ط1، 2006، ص74
- 11-عبد على حسن: تحولات النص السردى العراقى، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 2013، ص94
- 12-ينظر: سعيد يقطين: تحليل الخطاب الروائي (الزمن، السرد، التأثير) المركز الثقافي العربي، ط2، لبنان بيروت، 1993، ص284
- 13-سهيرة شيشوب: السخرية في الخطاب الواصف رواية العجب والعجاب لأحمد المديني أنموذجا، مجلة إشكالات في اللغة والأدب ع، 9 ماي، 2016، تمنغست، الجزائر، ص7.

<https://asjp.cerist.dz/en/article/7865>